

الدبلوماسية الثقافية الفرنسية كأداة للقوة الناعمة في دول المغرب العربي
- دراسة في دور اللغة -

**French Cultural Diplomacy as a Soft Power Tool in the Maghreb:
The Role of Language**



ط.د. بوطوش سميرة

جامعة الجزائر 03، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية (الجزائر)

مخبر السياسات العامة والتحديات التنموية في المغرب العربي

sam.boutouche@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/28

تاريخ القبول: 2025/11/30

تاريخ الارسال: 2025/09/28

ملخص: يتناول المقال دور الدبلوماسية الثقافية الفرنسية كأداة للقوة الناعمة في دول المغرب العربي، مع التركيز على اللغة الفرنسية كوسيلة للنفوذ السياسي والثقافي. يوضح أن الفرنسية لم تكن مجرد لغة تواصل، بل أداة هيمنة استعمارية عبر التعليم والإدارة والإعلام. وبعد الاستقلال، ورغم سياسات التعريب، بقيت الفرنسية حاضرة: فهي ماثار جدل في الجزائر، لغة نخب وأعمال في المغرب، ولغة راسخة في تونس، غير أن هذا النفوذ يواجه تحديات متصاعدة أبرزها صعود الإنجليزية، التعددية اللغوية الوطنية، والذاكرة الاستعمارية، ومع ذلك، تظل الفرنسية أداة استراتيجية لفرنسا في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية الثقافية؛ القوة الناعمة؛ الفرانكفونية؛ العلاقات الثقافية؛ اللغة؛ الهوية؛ المغرب العربي

Abstract:

This article examines the role of French cultural diplomacy as a soft power tool in the Maghreb, focusing on the French language as a means of political and cultural influence. French was not only a communication tool but also an instrument of colonial domination through education, administration, and media. After independence, despite Arabization policies, French remained significant: a source of debate in Algeria, the language of elites and business in Morocco, and deeply rooted in Tunisia. However, its influence faces growing challenges such as the rise of English, linguistic pluralism, and colonial memory. Nevertheless, it remains a strategic instrument for France to sustain influence and cultural ties.

key words: cultural diplomacy; soft power; Francophonie; cultural relations; language; identity; Maghreb

JEL classification: F54; Z19; I28

مقدمة:

تعد الدبلوماسية الثقافية واحدة من أبرز أدوات القوة الناعمة في الساحة الدولية الحديثة، حيث أصبحت الثقافة، اللغة، الفنون، والتعليم عناصر استراتيجية تُستخدم لتوسيع النفوذ السياسي وتعزيز صورة الدولة على المستوى العالمي. ومن بين الدول التي تميزت في هذا المجال، تظهر فرنسا كنموذج رائد في استغلال الثقافة لخدمة أهداف سياستها الخارجية، خصوصاً في منطقة المغرب العربي التي تجمعها بفرنسا علاقات تاريخية متشابكة تحمل طابعاً استعماريًا وثقافيًا معقدًا. تعتمد فرنسا في ذلك على استراتيجيات متنوعة، مثل برامج التبادل الأكاديمي والمهرجانات الثقافية، لتعزيز حضورها الثقافي وتحقيق فهم مشترك مع المجتمعات المغاربية. كما تستثمر في وسائل الإعلام والتكنولوجيا لنشر رسائلها الثقافية بصورة أعمق. يسعى هذا النهج إلى ترسيخ مكانة اللغة الفرنسية وتعزيز التعاون في مجالات التعليم والفنون لبناء علاقات مستدامة بين الشعوب.

في هذا السياق، تظهر اللغة الفرنسية كظاهرة فريدة في دول المغرب العربي، إذ يرتبط حضورها بتأثير الإرث الاستعماري من جهة، وبالسياسات التعليمية والثقافية التي تبنتها فرنسا من جهة أخرى. فاللغة الفرنسية في المنطقة تتجاوز كونها مجرد لغة أجنبية لتصبح عاملاً جوهرياً في الصراع حول الهوية والسياسة، حيث تتداخل مع قضايا السيادة والانتماء والهوية الوطنية، مما ترك أثراً عميقاً ومستمرًا في النسيج اللغوي والثقافي لدى دول المغرب العربي.

وعلى هذا الأساس نطرح الإشكالية البحثية التالية:

كيف توظف فرنسا اللغة الفرنسية كأداة للدبلوماسية الثقافية في منطقة المغرب العربي، وما الانعكاسات المترتبة عن ذلك؟

فرضية الدراسة:

تفترض هذه الدراسة أن اللغة الفرنسية بوصفها أداة للدبلوماسية الثقافية، تشكل الركيزة الأساسية للقوة الناعمة الفرنسية في منطقة المغرب العربي. وقد ساهمت اللغة الفرنسية في تمكين فرنسا من الاستمرار في تعزيز نفوذها الثقافي والسياسي من خلال وسائل مثل التعليم والإعلام واستقطاب النخب. ومع ذلك، أصبح هذا النفوذ معرضاً لتحديات متزايدة نتيجة تصاعد دور اللغة الإنجليزية، واتجاه السياسات الوطنية نحو دعم اللغات المحلية، فضلاً عن تأثير التحولات الرقمية المتسارعة.

الأسئلة الفرعية:

- 1- كيف تشكلت معالم الدبلوماسية الثقافية الفرنسية تاريخياً في دول المغرب العربي؟
- 2- ما الدور الذي تلعبه اللغة الفرنسية في إعادة إنتاج النخب السياسية والاقتصادية والثقافية بالمنطقة؟

3- كيف تتباين مكانة الفرنسية بين الجزائر، المغرب، وتونس من حيث الاستعمال والرمزية والوظيفة الاجتماعية؟

4- ما هي التحديات الراهنة (صعود الإنجليزية، التعددية اللغوية، الرقمنة) التي تواجه استمرار الفرنسية كأداة للقوة الناعمة؟

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في محاولتنا الربط بين الجانب النظري، المتمثل في مفاهيم القوة الناعمة، الدبلوماسية الثقافية، ودور اللغة كوسيلة للهيمنة الرمزية، والجانب العملي الذي يتناول الأثر على المنطقة المغاربية. هذا المزج يساهم في تقديم فهم أكثر عمقاً لموقع اللغة الفرنسية في شمال إفريقيا والتحديات المرتبطة بها، خاصة في ظل التغيرات العالمية الحالية.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في البداية على المنهج الوصفي-التحليلي لتناول واقع اللغة الفرنسية في الجزائر وبقيّة دول المغرب العربي. ركزنا على تحليل الأدوار التي تؤديها هذه اللغة في مجالات التعليم، الإعلام، السياسة، والثقافة.

ثانياً، تم الاعتماد على المنهج التاريخي نظراً لارتباط الظاهرة المدروسة بالإرث الاستعماري. فاللغة الفرنسية لم تنتشر في المنطقة نتيجة للتفاعل الطبيعي، بل تم فرضها بشكل ممنهج عبر سياسات استعمارية شملت مجالات مثل التعليم والإدارة والقضاء. ومن هذا المنطلق، يُعتبر تحليل السياق التاريخي ضرورياً لفهم الأسباب التي أدت إلى استمرار الهيمنة اللغوية الفرنسية حتى فترة ما بعد الاستقلال.

هيكلية الدراسة:

للإجابة على الإشكالية الرئيسية والتحقق من صحة الفرضية قمنا بتقسيم الدراسة إلى أربعة محاور رئيسية، حيث بدأنا بضبط المفاهيم الرئيسية، ثم انتقلنا في المحور الثاني للحديث عن الخلفية التاريخية للسياسة الثقافية الفرنسية في المنطقة المغرب العربي، وبعد ذلك واصلنا النقاش في المحور الثالث حول توظيف اللغة الفرنسية كأداة للقوة الناعمة في دول المغرب العربي، وأخيراً في المحور الرابع قيمنا مدى نجاح فرنسا في توظيف اللغة للحفاظ على نفوذها في ظل التحديات والتغيرات الدولية الراهنة.

1- المحور الأول: ضبط المفاهيم الرئيسية

1.1. تعريف الدبلوماسية الثقافية:

في البداية، ينبغي التعرف على مفهوم الدبلوماسية بشكل عام، حيث يمكن اعتبارها إحدى الظواهر المرتبطة بالعلاقات الدولية، وأداة أساسية لتطبيق السياسة الخارجية. تهدف الدبلوماسية إلى تحقيق

مصالح الدولة بأسلوب سلمي وفي إطار النظام الدولي القائم. كما أنها تمثل جوهر التعاون في سياق العلاقات الدولية.

وقد عرف Gordon Smith الدبلوماسية بأنها: "تقديم المصالح الوطنية عبر التبادل الدائم بين كل الحكومات والمجتمعات بهدف تغيير المواقف والوصول للاتفاق وحل المشاكل". (خلف، 1989) وقد واكب هذا التعريف فترة مابعد الحرب الباردة.

اختلفت آراء الباحثين حول مفهوم الدبلوماسية الثقافية بسبب تداخل مفاهيم كثيرة مثل القوة الناعمة والقوة الذكية ودبلوماسية التأثير.

ويقول ويلي برانت " Willy Brandt أن للدبلوماسية ثلاثة ركائز هي السياسة والاقتصاد والثقافة، حيث تضع الدبلوماسية نفسها في خدمة هذه الركائز الثلاث، وتنعكس العلاقة أي أن الثقافة هي التي تستخدم الدبلوماسية كأداة". (George Soreusen، 2007)

تُعد الدبلوماسية الثقافية جزءاً رئيسياً من الدبلوماسية العامة، تمثل إحدى أدوات الدول لتعزيز التواصل وتوطيد العلاقات من خلال استخدام الثقافة كوسيلة لتعميق الفهم المتبادل. تتجاوز المفهوم التقليدي للتفاهم السياسي والتبادلات الرسمية، إذ تسعى لبناء جسور الثقة عبر نشر القيم الثقافية وإبراز العمق الحضاري بهدف تعزيز الحوار بين الثقافات وتقليل الصراعات التي قد تنشأ في بيئة العلاقات الدولية المعقدة منذ القرن التاسع عشر، بدأت معظم الدول بتطبيق سياسات ثقافية خارجية مدروسة ومُنظمة، تهدف إلى دعم أهدافها في السياسة الخارجية. هذا النهج ساهم في بروز نمط جديد من العمل الدبلوماسي يُعرف باسم الدبلوماسية الثقافية. وتعزيزاً لهذا التوجه قامت الدول الكبرى بإنشاء مؤسسات ثقافية، سواء كانت حكومية أو غير حكومية، تلعب دوراً محورياً في دعم الجهود الدبلوماسية.

لقد ظهرت أولى مؤسسات الدبلوماسية الثقافية ضمن الهيكلية الحكومية في فرنسا منتصف القرن التاسع عشر وتبعتها في هذا التقليد ألمانيا ثم بريطانيا التي أسست المجلس الثقافي البريطاني عام 1934، وبعدها الولايات المتحدة الأمريكية التي أسست برنامجها الثقافي الرسمي عام 1938، ثم تبعهم العديد من دول العالم، ليصبح بذلك اختيار أعلام الفكر والفن كسفراء لبلدانهم أمراً تقليدياً واستحداث دوائر للعلاقات الثقافية في إطار هيكلية وزارات الخارجية أمراً شائعاً (فاضل، 2008) ولوضع تعرف دقيق للدبلوماسية الثقافية نذكر مجموعة من التعاريف المختصرة لبعض المفكرين:

يعرف ملتون كمنغس C Cummings jr Milton الدبلوماسية الثقافية " :هو تبادل الأفكار، والمعلومات، والقيم، والنظم، والتقاليد، والمعتقدات، وغيرها من مظاهر الثقافة بين الأمم والشعوب، بغاية تعزيز التفاهم المشترك وتشجيعه. (Cumming, 2010)

وتعني الدبلوماسية الثقافية أيضاً توظيف الثقافة للتأثير في الجماهير أو الشعوب الأخرى أو صناع الرأي والقادة والنخب المؤثرة وتستلزم استثمار الفرص التي توفرها القطاعات الأخرى من تعليم

وأفكار وتاريخ وعلوم دين وغيرها من أجل صياغة انطباعات وأفكار تعكس هذه الدولة أو تلك. (الخيرى،، دون سنة)

إن الاهتمام بدور العامل الثقافي في العلاقات الدولية لم يظهر إلى بعد الحرب العالمية الثانية، وزاد الاهتمام به أكثر خلال فترة الحرب الباردة وما بعدها والتحديات الناتجة عن هذه التغيرات وتطور وسائل الاعلام والتكنولوجيا الحديثة، جعلت الدبلوماسية الثقافية أكثر من مجرد خيار؛ بل ضرورة لتعميق التعاون الدولي، فهي تمثل أداة حيوية لتحويل التنوع الثقافي إلى منصة للتعاون البناء وتحقيق المصالح المشتركة بين الدول، ووسيلة للحوار بين الأمم، وتنمية حقوق الإنسان، وتعزيز الحوار بين الشمال والجنوب.

2.2 تعريف القوة الناعمة:

مصطلح القوة الناعمة "Soft power" هو مفهوم حديث وضعه أستاذ العلوم السياسية جوزيف ناي Joseph S. Nye في بداية التسعينات ، الذي شغل سابقاً منصب عميد مدرسة جون كينيدي الحكومية بجامعة هارفارد، ومؤلف كتاب "القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية". لكن رغم حداثة المصطلح إلا أنه كمفهوم او معنى ليس بجديد، بل نجد أصوله في مقولة صن تزو (Sun-Tzu) مؤلف كتاب "فن الحرب" حيث يقول في كتابه: "الانتصار في المعارك ليس هو النجاح التام، النجاح التام هو أن تكسر مقاومة العدو دون قتال" أي أن النصر يكون بالحكمة والدهاء (التفوق العقلي) دون الحاجة لاستعمال القوة.

كان الفلاسفة الصينيون أول من نادى باستعمال "القوة الناعمة" لتعزيز السلطة السياسية ومنهم "لاوتسزي" في القرن السابع عشر قبل الميلاد والذي قال: "لا يوجد في الكون مادة أنعم و أضعف من الماء، ولكنه قادر على تفتيت أكثر المواد صلابة". (صفي، 2024)

كما أن أصول مفهوم "القوة الناعمة" تعود إلى فترة حكم الرئيس الأمريكي فرنكلين روزفلت التي نجدها في خطابه المعروف بـ "خطاب الحريات الأربع" الذي القاه سنة 1941 وهي: حرية الرأي والتعبير، حرية العبادة، التحرر من الحاجة، والتحرر من الخوف. وهي أساس الديمقراطية التي يجب أن تشكل النظام العالمي والتي يجب أن تتمتع بها جميع شعوب العالم "حسب قوله، وقد تبناها فيما بعد الإعلان العالمي لحقوق الانسان.

يأخذ مفهوم القوة الناعمة ابعاد محورية في الفكر السياسي الأمريكي والصيني، لما تتمتع به من قوة في المجال الثقافي والفني والدبلوماسي، الأمر الذي يجعل القوة الناعمة عامل مؤثر في صناعة السياسة الخارجية للبلدين في سياق البحث عن تعزيز المكانة الدولية، عبر تأثير النموذج الثقافي والقيمي للبلدين. (صفي، 2024)

يقول جوزيف ناي في تعريفه للقوة الناعمة: "إنها القدرة على الحصول على ما تريده عن طريق قوة الجاذبية بدلا من الارغام ودفع الأموال. وهي تنشأ من ثقافة بلد ما، وسياساتها المتبعة، فعندما تبدو سياستنا مشروعة في عيون الآخرين، تتسع قوتنا الناعمة". (كريم،، 2023)

القوة الناعمة تُعد وسيلة فعالة للدول للتأثير على الآخرين بأساليب تركز على الثقافة، الإعلام، والفكر، بدلا من اللجوء إلى القوة العسكرية. يقوم هذا المفهوم على إرسال رسائل إيجابية تتعلق بالقيم والمبادئ والصورة العامة للدولة، مما يساهم في تعزيز مكانتها الدولية وبناء جسور التعاون والتفاهم مع دول أخرى. تعتمد الدول على أدوات مثل التبادل الثقافي، التعليم، والفن لتشكيل انطباعات إيجابية تعزز من قوتها الدبلوماسية.

أشار ناي أن القوة الناعمة لأي بلد تركز على ثلاثة موارد هي (في الأماكن التي تكون فيها جاذبة للآخرين)، وقيمه السياسية (عندما يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج)، وسياسته الخارجية (عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية أخلاقية) عندما تحتوي ثقافة دولة ما على قيم عالمية وتروج سياساته قيما ومصالح يشاركه فيها الآخرون فإنه يزيد من إمكانية حصوله على النتائج المرغوبة بسبب علاقاته التي يخلقها من الجاذبية والواجب". (صفي، 2024)

كل هذه العوامل جعلت القوة الناعمة أمرا مهما في العلاقات الدولية الحديثة، حيث تركز على تحقيق الأهداف السياسية من خلال التأثير، فمنذ القرن العشرين، لجأت العديد من الدول إلى استثمار هذه الأدوات لتوجيه الرأي العام العالمي بما يخدم مصالحها الاستراتيجية.

02: الخلفية التاريخية للغة الفرنسية في دول المغرب العربي

لم تكن اللغة الفرنسية في فترة الاستعمار الفرنسي لدول المغرب العربي مجرد وسيلة للتواصل، بل لعبت دورا محوريا في ترسيخ الهيمنة الثقافية والسياسية لفرنسا. عبر فرضها في مجالات الإدارة والتعليم والإعلام، تبنت السلطة الاستعمارية الفرنسية نهجا متعمدا لتهميش اللغة العربية، مما ساهم في توسيع نفوذها الثقافي والديني والسياسي. هذا الاحتكار اللغوي لم يكن فقط تعبيراً عن السيطرة الفكرية، بل أسهم أيضاً في تعزيز التبعية الاقتصادية والثقافية من خلال إنتاج نخبة محلية متوافقة مع النظام الاستعماري. وسنتطرق فيما يلي للسياسة التي انتهجتها فرنسا خلال فترة الاستعمار لترسيخ لغتها في كل من الجزائر، تونس، والمغرب.

تميزت الجزائر بطول فترة الاستعمار الفرنسي (1830-1962)، حيث اعتمدت فرنسا منذ دخولها الجزائر سياسة الاستيعاب اللغوي والثقافي، وسعت إلى إحلال الفرنسية محل العربية عبر التعليم والإدارة والقضاء. فتم إغلاق العديد من المدارس التقليدية، وتعويضها بمدارس فرنسية عبر سياسة الإدماج اللغوي، حيث تم تعميم اللغة الفرنسية في التعليم والقضاء والإدارة وتم حصر اللغة العربية في المجال الديني، وهذا بموجب "مرسوم شوتان" الذي أصدره رئيس مجلس وزراء فرنسا في 8

مارس 1938 الذي همش اللغة العربية واعتبرها "لغة أجنبية". هذه السياسة كانت جزءاً من مشروع استعماري يستهدف الهوية الوطنية.

وبهذا وضعت فرنسا يدها على المؤسسات التعليمية تطبيقاً لما قاله الجنرال الفرنسي "دوكرو": "يجب علينا أن نضع العراقيين أمام المدارس والزوايا كلما استطعنا على ذلك سبيلاً يجب علينا أن يكون هدفنا تحطيم الشعب الجزائري مادياً ومعنوياً" (قاسي، 2022).

إن السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر كانت الأكثر تشدداً في العالم الاستعماري الفرنسي، إذ استهدفت ليس فقط النخب بل المجتمع برمته وجعلت الجزائر أقرب إلى مشروع "الاستيعاب" (assimilation)، أي دمج الجزائريين في الثقافة الفرنسية، مع محو هويتهم اللغوية العربية.

بالنسبة لتونس بعد فرض الحماية الفرنسية عام 1881، طبقت فرنسا سياسة لغوية أقل صرامة مقارنة ببعض المناطق الأخرى، لكنها لم تكن أقل تأثيراً على المدى البعيد. اعتمدت فرنسا نهجاً يقوم على الازدواجية اللغوية، حيث أبقت على اللغة العربية كلغة أساسية للمدارس والتعليم الديني (الزيتونة)، بينما فرضت اللغة الفرنسية كلغة رئيسية للتعليم الثانوي والعالي، فضلاً عن استخدامها في مجالات الإدارة والقضاء (الجليل، 1992).

بذلك، خلقت فرنسا طبقة متعلمة بالفرنسية مرتبطة اقتصادياً وثقافياً بها، بينما بقيت العربية لغة عامة للناس. هذا الفصل اللغوي ساهم في تكريس التفاوت الاجتماعي بين النخب الفرنسية والطبقات الشعبية، وأرسى أرضية صلبة لاستمرار الفرنسية بعد الاستقلال. وفي هذا السياق، يرى بعض الباحثين أن فرنسا اختارت في تونس استراتيجية "التأثير غير المباشر" بدل المواجهة المباشرة، لضمان استدامة نفوذها بعد الاستعمار. (Gueldyeva، 2025)

أما بالنسبة للمغرب ومع فرض نظام الحماية الفرنسية عام 1912، تبنت فرنسا نهجاً لغوياً أكثر مرونة مقارنة بالجزائر، مع الحفاظ على الهدف ذاته: تحويل اللغة الفرنسية إلى لغة الدولة الحديثة مع حصر استخدام العربية في المجالات الدينية والثقافية. بذلك، أصبحت الإدارة المغربية تعتمد الفرنسية في مختلف مجالاتها، وتم توجيه التعليم العصري ليُدرس بنفس اللغة، بينما ظلت العربية محصورة في إطار التعليم التقليدي. ويعد تأسيس "ثانوية ليوطي" "Lycee Lyautey" التي تحمل اسم الماريشال هوبير ليوتي "Louis Hubert Lyautey" وهو ضابط فرنسي كان مسؤولاً على الإدارة بعد فرض الحماية مثلاً بارزاً يعكس هذا النهج بشكل واضح، وهو ما ساهم في تكوين طبقة سياسية واقتصادية مرتبطة ثقافياً بفرنسا.

واحدة من أبرز محطات السياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب كان الظهير البربري الصادر في 16 مايو 1930، والذي نصّ على أن تُدار شؤون المناطق الأمازيغية وفق الأعراف المحلية بدلاً من الشريعة الإسلامية، وعلى استخدام اللغة الفرنسية بدلاً من العربية في الإدارة والقضاء. مثل هذا الظهير محاولة واضحة لتفكيك الوحدة الثقافية واللغوية بين الأمازيغ والعرب، حيث قدّمت فرنسا اللغة الفرنسية كبديل

يؤخّدهم تحت سيطرتها. ورغم المقاومة الشعبية القوية التي أبدتها المغاربة ضد هذا القرار، فإن الظهير عكس الأهداف العميقة للسياسة الفرنسية المبينة على تفكيك الوحدة اللغوية والثقافية للمغرب لصالح تعزيز الفرنكوفونية ضمن هيمنتها الاستعمارية. (إسماعيل، 2018)

03: واقع اللغة الفرنسية في دول المغرب العربي بعد الاستقلال

تُعد اللغة الفرنسية من أبرز أدوات القوة الناعمة الفرنسية، إذ تتجاوز وظيفتها التواصلية لتصبح أداة استراتيجية في إعادة إنتاج النفوذ الثقافي والسياسي. فاللغة ليست مجرد أداة معرفية، بل هي رأسمال رمزي. (مسعود، 2016)

تعتبر قضية اللغة الفرنسية واحدة من أبرز القضايا التي تشغل المجتمعات في المغرب العربي، حيث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الهوية الوطنية، وبالموروث الاستعماري الفرنسي، إلى جانب تأثيرها على التحديات السياسية، الاجتماعية، والاقتصادية الحالية. فاللغة لم تكن مجرد وسيلة للتواصل فحسب، بل أصبحت مجالاً لصراع رمزي بين القوى الاستعمارية وشعوب المنطقة، واستمر هذا الصراع بين النخب الوطنية عقب تحقيق الاستقلال. عند دراسة تطور السياسات اللغوية في الدول الثلاث الجزائر، المغرب، وتونس يظهر بوضوح أن اللغة الفرنسية لم تقتصر على كونها أداة فرض استعماري خلال تلك الفترة، بل استمرت بعد الاستقلال كعنصر أساسي في مجالات الإدارة والتعليم والاقتصاد، مما جعلها محورياً للنقاش الذي يتأرجح بين القبول والرفض.

1- واقع اللغة الفرنسية في الجزائر بعد الاستقلال:

بعد الاستقلال سنة 1962، أعلنت الجزائر سياسة "التعريب الشامل"، وتم توظيف الفرنسية في التعليم العالي بالعلوم الدقيقة والتكنولوجيا والطب. لا تزال الجامعات الجزائرية تعتمد الفرنسية في تدريس أغلب التخصصات العلمية، ما يعكس استمرارها كأداة للمعرفة والبحث العلمي. (بحة، 2021) في الإدارة رغم "سياسات التعريب" إلا أن المراسلات الرسمية لا تزال تُصدر باللغة الفرنسية أو باللغتين معاً خاصة في المجالات الاقتصادية، والعقود التجارية، وقطاع البنوك، حيث تُعتبر لغة تقنية وذات طابع مرجعي. أما في مجال الإعلام "يُعتبر الإعلام الناطق باللغة الفرنسية في الجزائر أحد مجالات حضور اللغة الفرنسية. في الجرائد الكبرى مثل El Watan و Le Soir d'Algérie تصدر بالفرنسية، كما أن قنوات فضائية مثل Canal Algérie تبث بالفرنسية لجمهور داخلي وخارجي.

2- واقع اللغة الفرنسية في تونس بعد الاستقلال:

تمثل تونس النموذج الأكثر رسوخاً للفرنسية في المغرب العربي في التعليم العالي، وخاصة في مجالات الطب والهندسة والعلوم، يعتمد عليها بشكل شبه كامل. كما أن المدارس الخاصة والبعثات الفرنسية في تونس تركز مكانة الفرنسية كلغة نخبة (Gueldyeva، 2025)، وفي عالم الأعمال تُعد اللغة الفرنسية

الركيزة الأساسية، حيث تُستخدم بشكل واسع لتحرير معظم العقود والاتفاقيات التجارية، خصوصاً مع فرنسا، التي تحتل الصدارة كأكبر مستثمر أجنبي في البلاد.

بالإضافة إلى ذلك، تلعب الفرنسية دوراً محورياً في قطاع السياحة، الذي يمثل إحدى أهم مصادر الدخل القومي أكثر من 65% من التونسيين يتحدثون الفرنسية بمستويات مختلفة، مما يجعلها جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية، ليس فقط بين النخب، بل أيضاً بين الطبقات الوسطى. الصحافة المكتوبة والرقمية باللغة الفرنسية تشهد انتشاراً واسعاً، إلى جانب القنوات التلفزيونية والإذاعية التي تعتمد كلياً على الفرنسية.

3- واقع اللغة العربية في المغرب بعد الاستقلال:

يكشف تحليل واقع اللغة الفرنسية في المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغرب)، مجموعة من التناقضات التي تجعلها محوراً للنقاش والجدل. ففي الجزائر، تظل اللغة الفرنسية تحت وطأة نقاشات هوياتية وسياسية، فهي تُعتبر أحياناً رمزاً للتبعية الاستعمارية يُرفض تبنيها، وأحياناً أخرى لغةً تحمل طابع الحداثة والانفتاح. في المغرب، تتميز الفرنسية بأنها لغة النخب والاقتصاد، حيث تُستخدم في قطاعات المال والأعمال والبحث العلمي، لكنها تواجه تراجعاً تدريجياً مع تنامي دور اللغة الإنجليزية في مجالات الجامعات والتكنولوجيا، على الجانب الآخر، تبدو الفرنسية في تونس أكثر رسوخاً واستقراراً، إذ تجاوزت النخب لتصبح جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع اليومية بمختلف شرائحه ومستوياته. هذا التباين يكشف أن وجود اللغة الفرنسية في المنطقة لا يقتصر على إرثها الاستعماري، بل يعكس تفاعلاً مع الخيارات السياسية ومسارات التنمية في كل دولة، إلى جانب الدور المستمر الذي تلعبه فرنسا من خلال دبلوماسيتها الثقافية مثل المعاهد الفرنسية والمنظمة الدولية للفرنكوفونية.

04: التحديات التي تواجه اللغة الفرنسية في منطقة المغرب العربي

على الرغم من الجذور العميقة التي تمتد بها اللغة الفرنسية في دول المغرب العربي، سواء عبر التاريخ أو في الواقع المعاصر، إلا أنها باتت تواجه اليوم مجموعة من التحديات المتزايدة. تتمثل هذه التحديات في الانتشار المتسارع للغة الإنجليزية، وتزايد تبني التعددية اللغوية، إضافة إلى التوجهات التي تحكمها الذاكرة الاستعمارية. وسنقوم باستعراض وتحليل أبرز هذه المعوقات، مع دراسة تأثيراتها المحتملة على مستقبل الفرنسية في هذه المنطقة.

1- صعود اللغة الإنجليزية:

أبرز تحدّي تواجهه الفرنسية في المغرب العربي هو صعود الإنجليزية كلغة العلم والتكنولوجيا والاقتصاد العالمي. فمنذ بداية الألفية الجديدة، بدأت الجامعات المغربية، وخاصة في الجزائر والمغرب في تعزيز تدريس الإنجليزية في التخصصات العلمية والتقنية. وفي هذا الإطار قامت الجزائر سنة 2022 بإدخال الإنجليزية إلى التعليم الابتدائي والتوجه للتدريس باللغة الإنجليزية بالجامعات الجزائرية. والهدف هو محاولة لموازنة النفوذ الفرنسي المتجذر منذ الحقبة الاستعمارية.

أما في المغرب، اتخذت الدولة قراراً سنة 2019 بتوسيع تدريس الإنجليزية في الجامعات، خصوصاً في مجالات العلوم والهندسة، إدراكاً منها أن الإنجليزية هي لغة الانفتاح الأكاديمي والاقتصادي. (Iman Errachidi، 2015)، هذا التحول يضع الفرنسية في موقع المنافسة المباشرة مع الإنجليزية التي تُعتبر اليوم "اللغة العالمية الأولى".

2- التعددية اللغوية الوطنية:

التحدي الثاني يتمثل في تنامي التعددية اللغوية الوطنية. ففي الجزائر، اعترفت الدولة بالأمازيغية كلغة وطنية ورسمية منذ 2002، إلى جانب العربية. وفي المغرب، ينص دستور 2011 على أن الأمازيغية لغة رسمية إلى جانب العربية. أما في تونس، فالعربية تظل اللغة الوحيدة الرسمية، لكن هناك توجه شعبي متزايد نحو الإنجليزية. هذه التعددية تجعل من الفرنسية لغة "إضافية" بدل أن تكون لغة "محورية"، وتضعها في منافسة ليس فقط مع الإنجليزية، بل أيضاً مع اللغات الوطنية. (Gueldyeva، 2025).

3- الذاكرة الاستعمارية:

تبقى الفرنسية مرتبطة في المخيال الجماعي بتاريخ الاستعمار، خصوصاً في الجزائر التي عانت من أطول تجربة استعمارية فرنسية (1830--1962). (هذا الارتباط يجعلها أحياناً موضع رفض سياسي وشعبي، حيث يُنظر إليها كلغة المستعمر، في مقابل العربية التي تُعتبر لغة الهوية الوطنية والدين. أما في المغرب وتونس، فالارتباط أقل حدة لكنه حاضر، إذ تُعتبر الفرنسية رمزاً للنخبوية والفجوة الاجتماعية بين المفرنسين والعامة (Benrabah، 2007).

4- التنافس الرمزي بين النخب

تظهر اللغة الفرنسية محور جدل بين النخب: هناك من يرى فيها لغة حداثة وانفتاح على العالم، بينما ينظر آخرون إليها على أنها إرث استعماري يتعارض مع العربية كلغة هوية وسيادة. في المغرب، تمثل الفرنسية أداة تعليمية وتقنية مهمة، وتستخدم في التعليم العالي والعلوم والهندسة، إلا أن هناك نقاشاً متزايداً حول أهمية تعزيز الإنجليزية باعتبارها لغة العصر والابتكار، ما يعكس توتراً بين الإرث الاستعماري والحاجة للتنمية الاقتصادية. أما في تونس، فيبدو الصراع أقل حدة، إذ تُستعمل الفرنسية على نطاق واسع في التعليم والاقتصاد والإدارة، لكنها تبقى موضوع نقاش ثقافي وسياسي حول الهوية والوظيفة اللغوية. هذا التعايش — وأحياناً الصراع — بين العربية (واللغات المحلية الأخرى) والفرنسية يعكس إرثاً استعمارياً، وطموحات تنموية، وتحولات اجتماعية في هويات الأفراد والجماعات، ويظهر كيف أن اللغة ليست مجرد وسيلة تواصل، بل أيضاً أداة للهوية والنفوذ الاجتماعي والسياسي. (Ghimouze، 2023)

مستقبل اللغة الفرنسية في منطقة المغرب العربي لا يزال محفوفاً بعدم اليقين. ورغم استمرار تواجدها في مجالات مثل الإدارة والتعليم، إلا أن تراجع استخدامها على عكس ما كان عليه الوضع قبل

20 أو 30 سنة. وهذا أكدته فرنسا حيث قال الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون خلال الدورة الثامنة عشر لمنظمة الفرانكفونية في جربة:

"اللغة الفرنسية تمتد ديمغرافيا في بعض البلدان الفرانكفونية، لكن يجب أن نكون واضحين أن هناك تراجعا حقيقيا للغة الفرنسية في دول المغرب العربي"، هذه العوامل تشير إلى تحولات كبيرة في المشهد اللغوي في المنطقة، فمن المستبعد أن تنحسر اللغة الفرنسية نهائيا بالمنطقة المغاربية، نظرا لتاريخها في المنطقة وللروابط الاقتصادية والثقافية التي ما زالت تربط بين دول المغرب العربي والدول الناطقة بالفرنسية.

3.الخاتمة:

تبين من خلال الدراسة أن الدبلوماسية الثقافية جزء من الدبلوماسية العامة، تمثل إحدى أدوات الدول لتعزيز التواصل وتوطيد العلاقات من خلال استخدام الثقافة كوسيلة لتعميق الفهم المتبادل، إذ تسعى الدول لبناء جسور الثقة عبر نشر القيم الثقافية وإبراز العمق الحضاري بهدف تعزيز الحوار بين الثقافات وتقليل الصراعات التي قد تنشأ في بيئة العلاقات الدولية، تطبق الدول سياسات ثقافية خارجية مدروسة ومُنظمة، تهدف إلى دعم أهدافها في السياسة الخارجية. هذا النهج ساهم في بروز نمط جديد من العمل الدبلوماسي يُعرف باسم الدبلوماسية الثقافية .

كما بينت هذه الدراسة أن اللغة الفرنسية لا تقتصر على كونها وسيلة للتواصل، بل تحمل في جوهرها دورا أعمق كأداة للهيمنة الرمزية وأداة استراتيجية للدبلوماسية الثقافية الفرنسية في دول المغرب العربي. منذ فترة الاستعمار، عملت فرنسا على ترسيخ لغتها داخل قطاعات مثل الإدارة والتعليم والإعلام، مما جعل الفرنسية تُعتبر رمزا للحدث والافتتاح. وعلى الرغم من جهود التعريب التي تلت مرحلة الاستقلال، وخاصة في الجزائر والمغرب، ظل نفوذ الفرنسية قويا في مجالات مثل التعليم العالي والاقتصاد والبحث العلمي، بينما رسخت في تونس مكانتها كلغة ثانية مستقرة ومتجذرة ضمن المجتمع.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج:

- 1- تعد اللغة الفرنسية عنصرا للدبلوماسية الثقافية الفرنسية،
- 2- تبين أن اللغة الفرنسية لا تزال مرتبطة بالنخب السياسية والاقتصادية، وتستخدم كأداة لتحقيق التقدم الاجتماعي والمعرفي، خاصة في مجالات التخصصات العلمية والتقنيات الحديثة.
- 3- كشفت الدراسة أن الواقع اللغوي في المنطقة المغاربية يتميز بتنوع كبير يشمل العربية، الأمازيغية، الفرنسية، والإنجليزية، مما يجعل اللغة الفرنسية تواجه تحديات ومنافسة متزايدة.
- 4- أظهرت المقارنة بين الدول أن وضع اللغة الفرنسية يتسم بالتفاوت: فهي موضوع خلاف في الجزائر، أداة عملية في المغرب، بينما تعد لغة راسخة في تونس.

4. قائمة المراجع:

- المراجع باللغة العربية:

أولاً: الكتب العربية

1. خلف، محمد. 1989. *النظرية والممارسة الدبلوماسية*. الأردن: المركز الثقافي العربي.

ثانياً: المقالات العلمية العربية

1. بجة، سعيد أحمد. 2021. سياسة التعريب في الجزائر: قراءة في الواقع والآفاق. *مجلة علوم اللغة العربية وآدابها*، 13(1).
2. الدين، أحمد محمد. 2024. التطور التاريخي لدور القوة الناعمة. *مجلة البحوث المالية والتجارية*، 25(24)، ص 83.
3. العربي، إدريس. 2018. الظهير البربري في المغرب العربي وسياسة فرنسا التقسيمية (16 ماي 1930). *المجلة التاريخية الجزائرية*، 8.
4. قاسي، لخضر أحمد. 2022. ممارسات السياسة اللغوية الفرنسية اتجاه اللغة العربية في الجزائر. *مجلة اللغة العربية*، 24(3).
5. فاضل، نعمة محمد. 2008. الدبلوماسية الثقافية ودورها في تعزيز قرار السياسة الخارجية. *مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية*، العدد 2466.

ثالثاً: الرسائل والبحوث الأكاديمية العربية

1. كريم، محمد الأمين. 2023. *القوة الناعمة: تأصيل المفهوم ودلالات التوظيف في السياسة الخارجية (الولايات المتحدة والصين - دراسة مقارنة)*. غزة: مركز التخطيط الفلسطيني.

رابعاً: المصادر الإلكترونية العربية

1. مسعود، أحمد بن. 2016. *القوة الناعمة الفرنسية والأمن اللغوي*. " (2024/10/03). الرابط

: <https://www.lesemeurs.com/Lecture-zen>

المراجع باللغات الأجنبية:

أولاً: الكتب

1. Cedergren, M., & A. 2025. *Passages francophones du Maghreb et transfert culturel*. Stockholm: Stockholm University Press.
2. Cumming, M. C. 2003. *Cultural Diplomacy and the United States Government: A Survey*. Washington, D.C.: Center for Art and Culture.
3. Sorensen, G. 2007. *Introduction to International Relations: Theories and Approaches*. 3rd edition. Oxford: Oxford University Press.

ثانياً: المقالات والدراسات الأجنبية

1. Benrabah, M. 2007. "Language Maintenance and Spread: French in Algeria." *International Journal of Francophone*, 10.
2. Ghimouze, I. B. 2023. "Plurilingualism and the Dynamics of French Varieties in the Maghreb: A Sociolinguistic Exploration." *Journal of Language and Linguistic Studies*, 19.
3. Errachidi, Iman. 2015. "French Language Status in Morocco in the Context of Francophonie." *Russian Journal of Linguistics*, 19.

ثالثاً: الرسائل والأعمال الأكاديمية الأجنبية

1. Gueldyeva, Alica. 2022. *La diplomatie culturelle française – un instrument de soft power. Étude de cas : la langue française au Maroc*. Genève: Université de Genève.